

40

القصص

الجزء الرابع

داود قاضيا

داود

بقلم: ١. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم: ١. عبد الشافي سيد

إشراف: ١. حمدي مصطفى



آتَى اللَّهُ - تَعَالَى - عَبْدَهُ وَنَبِيَّهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النُّبُوَّةَ
 وَالْمُلْكَ ، وَعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ ، وَأَعْطَاهُ الْقُدْرَةَ عَلَى تَمْيِيزِ
 الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَمُنَاصَرَةِ الْحَقِّ ، وَالتَّصَدُّقِ لِلْبَاطِلِ ..
 كَمَا قَوَّى مُلْكَهُ ، وَأَحْبَبَهُ وَمَنَحَهُ حُبَّ
 النَّاسِ ، وَالْآنَ لَهُ الْحَدِيدُ ، فَكَانَ

الْحَدِيدُ فِي يَدَيْهِ مِثْلَ الشَّمْعِ يُشَكِّلُهُ كَيْفَ
يَشَاءُ .. وَقَدْ اسْتَغْلَ دَاوُدُ هَذِهِ الْهَبَةَ مِنَ اللَّهِ فِي صِنَاعَةِ
الدُّرُوعِ الْمَسْرُودَةِ ، وَهِيَ الْمَنْسُوجَةُ مِنْ حَلَقَاتِ
الْحَدِيدِ ، وَقَوَّى بِهَا جَيْشَهُ ..

كَمَا سَخَّرَ اللَّهُ الطَّيْرَ وَالْجِبَالَ تَرَدَّدَ تَسْبِيحُهُ ، كُلَّمَا
قُرَأَ فِي الزُّبُورِ بِصَوْتِهِ الْحَسَنِ ..

وَقَدْ كَانَ دَاوُدُ عليه السلام شَاكِرًا لِلَّهِ - تَعَالَى - عَلَى كُلِّ هَذِهِ
النِّعَمِ ، الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ وَاخْتَصَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَا ..

وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى دَاوُدَ أَنَّهُ
رَزَقَهُ الْإِبْنَ الصَّالِحَ سُلَيْمَانَ ، وَهُوَ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ
وَالْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيهِ دَاوُدَ ..

وَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ عليه السلام غُلَامًا ذَكِيًّا تَقِيًّا مِنْذُ حَدَاثَةِ
سِنِّهِ ..

وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ - تَعَالَى - آلَ دَاوُدَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ :

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ، وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ..

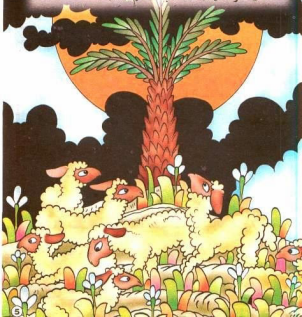
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ :

- إِنَّ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ حَقٌّ عَلَى الْعَامِلِ أَلَّا يَغْفُلَ
عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ .. سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ
يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يُفْضِي فِيهَا إِلَى إِخْوَانِهِ ،
الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ ، وَيَصَدِّقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ ،
وَسَاعَةٌ يَخْتَلِي فِيهَا مَعَ نَفْسِهِ فِيمَا أَحَلَّهُ اللَّهُ ، فَإِنَّ هَذِهِ
السَّاعَةَ عَوْنٌ عَلَى هَذِهِ السَّاعَاتِ ..

وَقَدْ قَسَمَ دَاوُدُ عليه السلام وَقْتَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ : يَوْمٌ
لِرِعَايَةِ مَصْلَحَةِ الْمَمْلَكَةِ وَتَصْرِيفِ شُئُونِهَا ، وَيَوْمٌ
لِعِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَيَوْمٌ يَجْلِسُ فِيهِ لِلْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ ..
وَقَدْ جَلَسَ دَاوُدُ عليه السلام يَوْمًا لِلْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ ،
كَعَادَتِهِ ، وَكَانَ حَاضِرًا الْمَجْلِسَ ابْنُهُ سَلِيمَانُ ، وَهُوَ
لَمْ يَزَلْ صَبِيًّا ..

وَجَاءَ إِلَى مَجْلِسِ الْقَضَاءِ رَجُلَانِ ، كَانَ أَحَدُهُمَا مُزَارِعًا ،
صَاحِبَ حَقْلٍ ، وَكَانَ الْآخَرُ رَاعِيًا صَاحِبَ غَنَمٍ ..
وَتَحَدَّثَ صَاحِبُ الْحَقْلِ فَقَالَ :

- يابى الله ، قد نزلت غنم هذا الرجل حقلى - فى
أثناء الليل - فأكلت محصولى ، وأتلفت زرعى ..
وقد جئت أطلب بالتعويض المناسب عن زرعى ..
فسأل داود عليه السلام صاحب الغنم قائلا :



— هَلْ صَحِيحٌ مَا يَدَّعِيهِ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَنْ

غَنَمَكَ أَكَلَتْ مَحْصُولَهُ ، وَأَتَلَفَتْ زَرْعَهُ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ ۱۴

فَقَالَ صَاحِبُ الْغَنَمِ :

— نَعَمْ ..

فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— إِذَنْ فَأَنَا أَحْكُمُ لِهَذَا الرَّجُلِ بِأَنْ يَأْخُذَ غَنَمَكَ عَوْضًا

عَنْ مَحْصُولِهِ وَزَرْعِهِ الَّذِي أَتَلَفَتْهُ غَنَمُكَ .

فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ — عَلَيْهِمَا السَّلَامُ — :

— عِنْدِي رَأْيٌ آخَرُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ، فَهَلْ تَأْذَنُ لِي

يَا أَبِي أَنْ أَقُولَ رَأْيِي ؟

فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— تَكَلِّمْ يَا سُلَيْمَانُ .. قُلْ رَأْيَكَ يَا وَلَدِي فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ..

فَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ اللَّهُ — تَعَالَى — قَدْ عَلَّمَهُ

حِكْمَةً تُضَافُ إِلَى مَا وَرِثَهُ عَنْ وَالِدِهِ :

— مِنْ رَأْيِي أَنْ نَحْكُمَ لِصَاحِبِ الْغَنَمِ أَنْ يَأْخُذَ الْحَقْلَ ،

فِيصْلَحَهُ وَيَزْرَعَهُ ، حَتَّى تَعُودَ أَشْجَارُهُ كَمَا

كَانَتْ .. وَنَحْكُمُ لِصَاحِبِ الْحَقْلِ أَنْ يَأْخُذَ الْغَنَمَ ،
فَيَنْتَفِعَ بِلَبَنِهَا وَصُوفِهَا وَيَأْكُلَ مِنْهَا ، حَتَّى يُصْلِحَ لَهُ
صَاحِبُ الْغَنَمِ الْحَقْلَ ، وَيُعِيدَهُ سَلِيمًا كَمَا كَانَ ،
وَمَتَى تَمَّ هَذَا يَأْخُذُ صَاحِبُ الْغَنَمِ غَنَمَهُ ، وَيَسْتَرِدُّ
صَاحِبُ الْحَقْلِ حَقْلَهُ ..

فَأَعْجَبَ دَاوُدُ ﷺ بِالْحُكْمِ الَّذِي أَوْصَرَهُ ابْنُهُ - بِرَغْمِ
صِغَرِ سِنِّهِ - وَفَرِحَ لِأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ ابْنَهُ الْحِكْمَةَ ، وَفَصَّلَ
الْخِطَابَ ، وَأَوْصَرَ الْحُكْمَ الَّذِي رَأَاهُ سُلَيْمَانُ ..

وَقَدْ قَصَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ *
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

«الْأَنْبِيَاءُ ٧٨ ، ٧٩ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ ١»

وَالثَّابِتُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ

محرابه مختلياً بنفسه ، ليعبد لله تعالى ،
ويرتل الزبور تسبيحاً له ، لم يكن أحد يجرو على
الدخول عليه في خلوته ، فقد كان له حراس على
الأبواب يمنعون أى شخص من الدخول عليه وقت
تعبده ، وحتى يخرج هو للناس .

لكنه فوجئ ذات يوم بشخصين يتسوران عليه
المحراب ، الذى يتعبد فيه (أى يدخلان قفراً من فوق
سور المحراب ، وليس من بابه) ففرع داود عليه السلام منهما ،
وتعجب كيف يدخلان عليه ، برغم وجود الحراس بالخارج !!
فطمأنه الرجلان وقال له أحدهما :

- لا تخف نحن خصمان ، وقد جئنا نحتكم إليك
فى أمر ما ، فاحكم بيننا بالحق ، وتحر الأمر قبل أن
تصدر الحكم ، حتى تهدينا إلى العدل فى هذه
القضية ..

فقال داود عليه السلام :

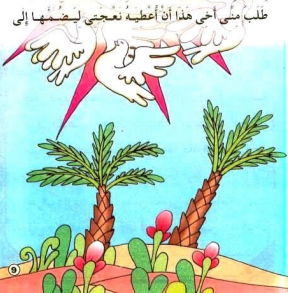
— مَا هِيَ الْقَضِيَّةُ ؟ ! تَكَلَّمَا ..

فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ :

— إِنَّ هَذَا أَخِي (يَقْصِدُ أَخَاهُ فِي الدِّينِ وَالصَّحْبَةِ) لَهُ

تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ، وَأَنَا لِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَقَدْ

طَلَبْتُ مِنِّي أَخِي هَذَا أَنْ أُعْطِيَهُ نَعْجَتِي لِيَضُمَّهَا إِلَى



نَعَاجِهِ ، فَيَصِيرُ لَدَيْهِ مِائَةُ نَعْجَةٍ ، وَلَا يُصْبِحُ
لَدَى نَعَاجٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَقَدْ غَلَبَنِي فِي حُجَّتِهِ الْقُوَّةُ ..
وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَمَعَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الرَّجُلِ الْآخَرِ ،
أَصْدَرَ حُكْمَهُ قَائِلًا :

– لَقَدْ ظَلَمَكَ حِينَ طَلَبَ مِنْكَ أَنْ تُقَدِّمَ نَعْجَتَكَ ،
لِيَضُمَّهَا إِلَى نَعَاجِهِ .. وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ، وَهُمْ قَلِيلٌ ..

أَصْدَرَ دَاوُدُ حُكْمَهُ عَلَى الرَّجُلِ الْآخَرِ ، دُونَ أَنْ يَسْتَمَعَ
لِرَأْيِهِ فِي الْقَضِيَّةِ ، وَكَانَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يَنْصِتَ لِلْخَصْمِ
الْآخَرَ قَبْلَ أَنْ يُصْدَرَ حُكْمُهُ ، فَرُبَّمَا كَانَ الْخَصْمُ الْآخَرُ
مُحِقًّا فِي طَلَبِهِ ، وَرُبَّمَا كَانَتْ لَهُ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ ..

وَعَرَفَ دَاوُدُ أَنَّ الْخَصْمَيْنِ اللَّذَيْنِ يَقِفَانِ أَمَامَهُ لَيْسَا
رَجُلَيْنِ ، وَإِنَّمَا هُمَا مَلَكَانِ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ ، فَعَلِمَ أَنَّ
اللَّهَ قَدْ ابْتَلَاهُ بِالذَّنْبِ ، وَامْتَحَنَهُ بِهَذِهِ

القَضِيَّة ، الَّتِي تَسْرَعُ بِإِصْدَارِ حُكْمِهِ فِيهَا ، قَبْلَ أَنْ
يَسْتَمَعَ إِلَى الطَّرَفَيْنِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِذَلِكَ قَدْ تَجَاوَزَ الْحَقَّ ،
وَلِذَلِكَ سَارَعَ دَاوُدُ عليه السلام بِاسْتِغْفَارِ رَبِّهِ عَنْ تَسْرُعِهِ ، فِي
إِصْدَارِ حُكْمِهِ ، وَعَدِمَ تَحْرِيرَ الْحَقِّ ، وَخَرَّ رَاكِعًا
لِلَّهِ تَعَالَى ، وَتَابَ إِلَيْهِ ..



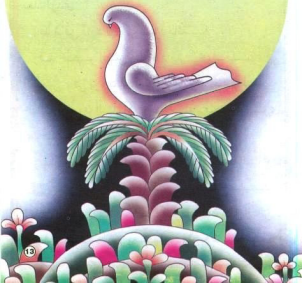
وَقَدْ حَكَمَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا : لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ : لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

[الآيات من ٢١ : ٢٥ من سورة ص]

استمرَّ نبيُّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام يحْكُمُ في النَّاسِ بِالْعَدْلِ ،
وَلَا يَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَعِبَادَتِهِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ،
آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ..

وكان ذكره وتسبيحه لله بفيض حكمة وخشوعا ..
ومن أقوال نبي الله داود عليه السلام قوله :
- كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالأَبِ الرَّحِيمِ ، واعلم أنك كما تزرع ،
كذلك تحصد .



وقوله :

- مَثَلُ الْخَطِيبِ الْأَحْمَقِ فِي نَادِي الْقَوْمِ ، كَمَثَلِ
الْمَغْنَى عَلَى رَأْسِ الْمَيْتِ ..

وقوله :

- مَا أَقْبَحَ الْفَقْرُ بَعْدَ الْغِنَى ، وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ الضَّلَالَةُ
بَعْدَ الْهُدَى ..

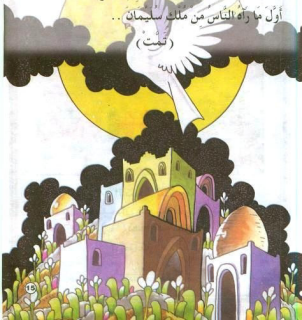
وقَدْ تُوُفِيَ دَاوُدُ عليه السلام وَعُمُرُهُ مِائَةٌ مِائَةً ..

وقَدْ حَضَرَ النَّاسُ جِنَازَةَ دَاوُدَ عليه السلام فَجَلَسُوا فِي
الشَّمْسِ ، فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ ، وَقَدْ حَضَرَ لِتَشْيِيعِ
جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ رَاهِبٍ بِمَلَابِسِهِمُ الْمُعْتَادَةَ ، سِوَى
غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، فَأَذَاهُمُ الْحَرُّ ..

وَيُقَالُ إِنَّهُمْ نَادَوْا سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -
لَكَيْ يَصْنَعَ لَهُمْ وَقَايَةَ مِنَ الشَّمْسِ ، فَخَرَجَ سَلِيمَانُ ،
فَنَادَى الطَّيْرَ ، فَأَجَابَتْهُ ، فَأَمَرَهَا أَنْ تُظِلَّ النَّاسَ ،
فَتَرَاصَّتِ الطُّيُورُ بَعْضُهَا بِجِوَارِ بَعْضٍ ، حَتَّى

سَدَّتِ الرِّيحُ ، فَكَادَ النَّاسُ أَنْ يَهْلِكُوا اخْتِنَاقًا ، فَخَرَجَ
سُلَيْمَانُ فَأَمَرَ الطَّيْرَ أَنْ تَظِلَّ النَّاسَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمْسِ ،
وَأَنْ تَتَنَحَّى مِنْ نَاحِيَةِ الرِّيحِ ، فَأَطَاعَتْ أَمْرَهُ ، فَكَانَ
النَّاسُ فِي الظِّلِّ ، وَتَهَبُ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ .. وَكَانَ هَذَا
أَوَّلَ مَا رَأَاهُ النَّاسُ مِنْ مَلِكِ سُلَيْمَانَ ..

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء



الكتاب التالي
سليمان عليه السلام
(١) نعم الله عليه
أحرص على اقتنائه

رقم الإصدار : ٢١٢٢

الترقيم الموالي : ٢١ - ٢٥٨ - ٢٦٦ - ٢٧٧